جهود الخطيب المقرئ: حمد الله بن خيرالدِّين (ت٩٨٣هـ) في خدمة القرآن وعلومه

دكتور/ عادل بن إبراهيم بن عبدالمحسن التركي
أستاذ القرآن وعلومه المساعد بقسم الدراسات الإسلامية
في جامعة المجمعة

ملخص البحث:

تضمن هذا البحث دراسة مخطوطات عالم مهتم بالقرآن وعلومه، كانت نتيجتها الوصول من خلالها إلى الصحيح من اسمه وتاريخ وفاته، حيث ورد خلاف بين كتب التراجم حوله، كما جاء التعريف به عندهم مقتضبًا مختصرًا، رغم أنه بارز في عصره مشهور بلقب الخطيب لتوليه خطابة أهم جامع في الدولة مدة تزيد على أربعين سنة، ثم عين آخر حياته شيخًا للقراء، واشتهر بالنظم وله مؤلفات فيه، شرحها بنفسه، كما أشرتُ إلى مواضع حفظ مخطوطاته المتوفرة في المكتبات، والتي جمعت منها ما يمكن للتعريف به تحت عنوان: "جهود الخطيب المقرئ: حمد الله بن خير الدِّين (ت٩٨٣هـ)، في خدمة القرآن وعلومه" .

واشتمل البحث على مقدمة ثم تمهيد ذكرت فيه ما يهم من عصره للتعريف به، تلاه ثلاثة مباحث، أوَّلها: حياته الشخصية، تَبَيَنَ من خلاله الصحيح حول اسمه ولقبه الذي اشتهر به، والثاني: حياته العلمية والعملية، وفيه عرض لوظائفه وجهوده في خدمة القرآن وعلومه، مع الاستطراد في وصف مخطوطات مؤلفاته وأماكن حفظها وما تميزت به، والمبحث الثالث: مخصص لما ورد حول وفاته، والراجح في ذلك، مع بيان الوهم المتوارث بين المصادر التي ترجمت له .

واشتملت خاتمة البحث على التوصية بتحقيق القصائد التي نظمها الخطيب المقرئ، وشروحه لها مع ترجمتها، بالإضافة إلى مقترح إنشاء مركز للترجمة من اللغة العثمانية التي كتبت بها كثير من المخطوطات العلمية المفيدة في تلك المدة التي عاش فيها الخطيب المقرئ حمد الله بن خير الدين-رحمه الله- .

الكلمات المفتاحية:

قصائد في علم التجويد – مخارج الحروف وصفاتها – علم القراءات–المقرئ حمد الله ابن خير الدين الخطيب (ت٩٨٣هـ)–علماء القرآن وعلومه في عصر القانوني العثماني .

المقدمة:

الحمد لله الذي زين ألسنة القراء بحلية التلاوة، وكثرة الترداد، ووفقهم لحفظ كتابه وهداهم إلى سبيل السداد، ووهب لهم العقل والفهم والدراية والرشاد، ونور أعينهم بنور النظر إليه على خلوص الاعتقاد، وأضاء قلوبهم بضياء التدبر في معانيه بالامتثال والانقياد، وأراح أنفسهم بإتقان ألفاظه وإذعان معانيه بالجد والاجتهاد، وأيد عليهم بإحسانه من أنواع النعم وأجاد، وجزاهم بما عملوا خير الجزاء يوم الميعاد، والصلاة والسلام الأكملان صلاة دائمة إلى أبد الآباد، على من هو أفضل العباد، محمد النبي الأمِّي العربي الذي هو أفصح من نطق بالضاد، وعلى آله وأصحابه وجميع التابعين[1]، أما بعد:

فإن من أوجه خدمة كتب التراث الإسلامي وخاصة ما يتعلق منها بكتاب الله والعلوم المتصلة به، بيان الجهود المبذولة من علمائنا في ذلك، وإظهار ما ورَّثوه من ثروة علمية تستحق التحقيق، بهدف إحياء آثارهم العلمية التي بذلوا فيها جهدًا يستحقون مقابله أن ندعو لهم بالرحمة، وننشر ما تفضل الله عليهم به، طمعًا في فضل الله الواسع أن يشركنا معهم في أجور ما تركوه من علوم، مستحضرين ما أخرجه مسلم[2] -وغيره- في صحيحه تحت باب: ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، عن أبي هريرة-رضي الله عنه- أن رسول الله-ﷺ- قال: ((إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له))، ومن خلال استكشافي للمخطوطات المتعلقة بالقرآن وعلومه، وقعت على مجموعة من المؤلفات لعالم متخصص في خدمة القرآن طيلة حياته وحتى عُيِّن (شيخًا للقراء)، وهو خطيبُ أهم جامع في الدولة-التي كانت أقوى دولة في العالم تلك المدة-، أضف إلى ذلك تمكنه من النظم الذي اشتهر به؛ فقد نَظَم خمس قصائد كلها في خدمة القرآن، وشرح بعضها بنفسه، **والعجيب** أنه لم يسبق أن نُشِرَ أيٌّ من قصائده، على الرغم من تعدد نُسَخِ بعضها، وجمال خطها ووضوح اهتمام النُّساخ بها، **والأعجب** أن كُتُبَ التراجم التي عرفت به اختلفت في اسمه وسنة وفاته وحصل بينهم تناقل لمعلومات خاطئة عنه، رغم

(١) اقتبست هذه الديباجة من آخر الكتب التي ألفها الناظم وهو بعنوان: (فيوض الإتقان في وجوه الفرقان في القراءات العشر). لبيان قوته في العبارات الخطابية والعلمية، كما سيأتي في بيان مؤلفاته خلال المبحث الثاني.

(٢) في كتاب الوصية (١٦٣١/١٢٥٥/٣).

أنه عالمٌ بارز في عصره وليس بمغمور، فرغِبْتُ أن أُبرز جهوده في خدمة القرآن وعلومه، مقدمًا خدمة لمن أراد أن يحقق مؤلفاته، بتحرير الخلاف الذي جاء حوله، مع الإشارة إلى مكان حفظ مخطوطاته، وذلك بتتبعها واعتماد ما ورد فيها من معلومات، مع الإحاطة إلى أن مؤلفها قد قصر المشقة على من رام تحقيقها، فأثبت نسبتها له في مقدمة قصائده وشروحه، كما نص على عنوان مؤلفاته بنفسه، وعين تاريخ كتابتها بأسلوب بديع، فلم يبقَ إلا أن يُشَمِرَ المهتمون بالتحقيق إلى إخراج النص كما أراده مؤلفه رحمه الله .

وبعد العيش مع مخطوطاته أقلب فيها مدة ليست باليسيرة، يسر الله لي إخراج خلاصة ما يهم الدارسين في القرآن وعلومه، ووضعتها تحت عنوان: "جهود الخطيب المقرئ: حمد الله بن خير الدِّين (ت٩٨٣هـ)،في خدمة القرآن وعلومه"،ويسعدني تواصل من يرغب من أهل التخصص في التعاون لإخراج قصائده وشروحه لها، مع التأكيد على أن ما توصلت له عمل بشر؛ النقص صفته الملازمة، لكن حسبي أني أفرغت فيه وسعي، وبذلت فيه غاية جهدي، فما كان فيه من صواب فهو من فضل الله وتيسيره وإعانته وتوفيقه وحده، وما كان فيه من خطأ أو زلل فذلك من النفس والشيطان، وأستغفر الله تعالى منه، وأسأل الله جلَّ وعلا أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وذخراً لي يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأكملان على المبعوث رحمة للخلق أجمعين .

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- الاختلاف بين المصادر التي عرفت به في تحديد اسمه وتاريخ وفاته، على مكانته العلمية، فهو الخطيب المقرئ كما وصف في كتب التراجم وعلى غلاف نسخ بعض مخطوطاته، واهتمامه الواضح بكتاب الله وكيفية أدائه بطريقة صحيحة، وما له من مؤلفات وجهود مهمة في هذا المجال، سواء باللغة العربية أو العثمانية .

٢- وجود شح في مصادر التعريف بالخطيب المقرئ، مما دعا إلى تلمس التعريف به من صفحات مخطوطات مؤلفاته، إبرازًا لها ولدوره في خدمة القرآن وعلومه، سواء كان بالإقراء أم بالتأليف .

٣- توافر نسخ من مخطوطات مؤلفاته لم تخدم بالتحقيق مع تقدم تاريخ نَسْخها وتعدد نُسَخها وجودتها .

هدف البحث:

التعريف بالخطيب المقرئ: حمد الله بن خير الدِّين، مع تحديد الصحيح في اسمه وسنة وفاته، وبيان جهوده في خدمة القرآن وعلومه والإشارة إلى مؤلفاته ومكان حفظ المخطوط منها.

خطة البحث:

المقدمة؛ وفيها:(أهمية الموضوع وأسباب اختياره، هدف البحث، خطة البحث) .

تمهيد: عصره .

المبحث الأول: حياته الشخصية .

المبحث الثاني: حياته العلمية والعملية .

المبحث الثالث: وفاته .

الخاتمة؛ وفيها أهم النتائج والتوصيات .

فهرس:المراجع والمصادر.

تمهيد: عصره:

عاش الخطيب المقرئ: (حمدالله بن خيرالدين)،زهرة حياته في عهد السلطان العاشر من سلاطين الدولة العثمانية سليمان خان القانوني[١]، ثاني من حمل لقب "أمير المؤمنين" من آل عثمان، وصاحب أطول مدة حكم للدولة العثمانية، والذي استمرت مدة حكمه ثمان وأربعين سنة، بدأت من بعد وفاة والده السلطان سليم الأول في ٩ من شهر شوال عام ٩٢٦هـ، وكان يبلغ من العمر حين توليه الحكم ستًا وعشرين عامًا، مما جعل الولاة في دولته يطمحون للاستقلال ويظنون أنهم قادرون على الخروج عن حكم الشاب الصغير، إلا أن القانوني أظهر حنكة في السيطرة على البلاد، وإعادة الاستقرار لها،حتى بلغت الدولة العثمانية في عهده أقصى اتساع لها فأصبحت أقوى دولة في العالم في ذلك الوقت، وخلفه بعد وفاته عام (٩٧٤هـ)ابنه السلطان سليم الثاني[٢]، والذي امتدت مدة حكمه ثمان سنوات حتى عام(٩٨٢ه) ولم تكن الدولة في قوتها كما كانت في عهد والده، وخلفه ابنه مراد الثالث[٣]الذي توفي عام (١٠٠٣هـ) .

مما لا شك فيه أن أهم مدة حكم سلاطين الدولة العثمانية هي سنوات حكم السلطان القانوني (٩٢٦-٩٧٤هـ)، ليس من الجانب السياسي فحسب -حيث وصلت إلى أقصى اتساع لها وانتشرت الأقاليم التابعة له على أهم قارات العالم الثلاث[٤]- بل حتى الجانب الاجتماعي والعلمي، فقد لقيت الجوامع والمدارس ومعاهد دراسة القرآن

(١)لُقِّبَ بالقانوني: لما قام به من إصلاح في النظام القضائي العثماني، ولد عام (٩٠٠هـ)، وعُرف عند الغرب باسم سليمان العظيم . ينظر: **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ابن العماد العكري الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد، (١٠٨٩هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى،١٤٠٦هـ-١٩٨٦م،٥٤٩/١٠ ، **تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن**، لحضرة كزتلو يوسف بك آصاف، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، (ص٦٠) .

(٢) ينظر: **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ابن العماد العَكري الحنبلي٥٨٠/١٠ ،**النور السافر عن أخبار القرن العاشر**، العَيْدَرُوس، محي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله (المتوفى: ١٠٣٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ه، (ص٣٥٤) .

(٣) ينظر المراجع السابقة بالإضافة إلى: **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، محمد فريد بك المحامي (المتوفى: ١٣٣٨هـ)، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس، بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى١٤٠١ه-١٩٨١ (ص٢٥٩) .

(٤) ينظر: **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، لابن عماد الحنبلي٥٤٩/١٠-٥٥١ ، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن(ص٦٠) .

الكريم وكتاتيب حفظه في وقته اهتمامًا واضحًا[١]، حيث أسس مسجدًا باسمه أُطلق عليه جامع السليمانية،له مئذنة كبيرة ويقع المسجد في قلب مجموعة تتكون من أربع مدارس ومستشفى وفندق ومقبرة ودكاكين وحمّامات ومدرسة قرآنية، حاول مهندسه المعماري منافسة مسجد آياصوفيا الموجود في إسطنبول، والذي يعدُّ تحفة معمارية، ويستوعب أعدادًا ضخمة من المصلين، ويكاد يكون أبرز معلم في الدولة[٢]،بالإضافة إلى الاهتمام بتأسيس المكتبات المشتملة على نفائس المخطوطات وأمهات الكتب .

هذا الدعم الملحوظ من سلاطين القرن العاشر للعلم ومؤسساته أعطى مكانة لأهله، وبرز فيه العديد من العلماء، وحيث أن الحديث متركز على ما يتعلق بخدمة القرآن وعلومه، أذكر بعض من اشتهروا في هذا التخصص[٣]مع ذكر مؤلفاتهم التي برزوا فيها مرتبًا لهم حسب تواريخ وفاتهم:

١-الإيجي (ت٩٠٥هـ)؛محمد بن عبد الرحمن،وهو: مفسر شافعي من أهل (إيج) بنواحي شيراز، من كتبه: جامع البيان في تفسير القرآن[٤].

٢- جلال الدين السُّيُوطي (ت٩١١هـ)؛ عبد الرحمن بن أبي بكر، وهو: إمام حافظ مؤرخ أديب، له نحو ستمائة مصنف، منها:الإتقان في علوم القرآن، وإتمام الدراية لقراء النقاية، والأشباه والنظائر، والإكليل في استنباط التنزيل، وترجمان

(١) ينظر: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، لإسماعيل أحمد ياغي، مكتبة العبيكان، السعودية، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م، (ص ٧٥)، الدولة العثمانية -الثقافة والمجتمع والسلطة-، لحسن الضيقة دار المنتخب العربي، بيروت، الطبعة الأولى،١٤١٧هـ-١٩٩٧م، (ص٢٠٠) .

(٢) آياصوفيا: مبنى تاريخي للعبادة يبلغ طوله٨٢م وعرضه ٧٣م وارتفاعه٥٥م، يقع على الضفة الأوروبيّة في مدينة إسطنبول، وبعد فتح القسطنطينية عام ١٤٥٣م حوله العثمانيون إلى مسجد مضيفين إليه أربع مآذن، وبعد قيام الجمهورية التركية حوله كمال أتاتورك عام ١٩٣٥م إلى مُتْحَف، وأخيرا أُعلن عن إعادته مسجدًا في ٢٤ يوليو عام ٢٠٢٠، بعد إصدار حُكم المحكمة الإدارية العليا بتركيا بذلك.

ينظر: التعريف به في الموسوعة الحرة ويكيبيديا: (https://ar.wikipedia.org)، تعريف بالأماكن الواردة في كتاب البداية والنهاية ٨٤/١.

(٣) المراد ذكر نماذج من العلماء المهتمين بالقرآن وعلومه، وكيف أن الخطيب حمد الله كان له مكانة بارزة بينهم، وضابط هذه النماذج أن يوجد لأحدهم مؤلف متعلق بالقرآن وعلومه، وإلا فمشاهير عصره كثر، ومنهم منمر ذكره في هذا البحث كأمثال: طاشْكُبْري زَادَهْ (٩٦٨ هـ) .

(٤) ينظر: **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، السخاوي، (ت: ٩٠٢هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت، (٣٧/٨)، **ومعجم المطبوعات العربية والمعربة**، سركيس، (ت: ١٣٥١هـ)، مطبعة سركيس بمصر ١٣٤٦هـ، (٥٠٠/٢) .

القرآن،والدر المنثور في التفسير بالمأثور، وطبقات المفسرين، ولباب النقول في أسباب النزول،ومتشابه القرآن[١].

٣-شهاب الدين القسطلاني(٩٢٣هـ) أحمد بن محمد الخطيب الشافعي المصري المحدث، من مؤلفاته: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ولطائف الإشارات في علم القراءات، والكنز في وقف حمزة وهشام على الهمز[٢].

٤-زكريا الأنصاري(ت٩٢٦هـ) ابن محمد بن أحمد المصري الشافعيّ، له تصانيف كثيرة منها:(فتح الرحمن) في التفسير، و(تحفة الباري) على صحيح البخاري و(فتح الجليل) تعليق على تفسير البيضاوي، و(الدقائق المحكمة) في القراءات[٣].

٥-الخطيب الشربيني (ت٩٧٧هـ)؛ محمد بن أحمد، فقيه شافعي، مفسر من أهل القاهرة، من مؤلفاته:(السراج المنير في تفسير القرآن)[٤].

٦-أبو السعود العمادي (ت٩٨٢هـ)محمد بن محمد بن مصطفى، من علماء الأتراك المستعربين، ولد في القسطنطينية وبها توفي ودفن إلى جوار قبر الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري، اشتهر بكتابه في التفسير:(إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)[٥].

---

(١) ينظر: **النور السافر عن أخبار القرن العاشر**، العَيْدَرُوس، (ص٥٠)، **الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة**، الغزي، نجم الدين محمد (ت: ١٠٦١هـ)، تحقيق:خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ، ٢٢٦/١.

(٢) ينظر: **النور السافر**، العَيْدَرُوس،(ص١٢٠)، **الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة**، الغزي،١٩٦/١ .

(٣) ينظر: **النور السافر**، العَيْدَرُوس،(ص١١٣)، **الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة**، الغزي،١٢٦/١ .

(٤) ينظر: **الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة**، الغزي ٧٢/٣، **شذرات الذهب**، ابن العماد العَكري الحنبلي ٥٦١/١٠ .

(٥) ينظر: **النور السافر**، العَيْدَرُوس(ص٢٣٩)،**وشذرات الذهب**، ابن العماد العَكري ٣٩٨/٨ .

المبحث الأول: حياته الشخصية

لم يأتِ ذكرٌ لتاريخ ولادة الخطيب المقرئ: حمد الله بن خير الدين، بل إن المصادر التي عرفت به اختلفت في سنة وفاته[١]، إلا أن الثابت أنه من ولاية قسطموني[٢] حيث ترعرع في كنف والده:(خير الدين)[٣]الذي عاش فيها،ثم تنقل وترقى في ميادين التعلم والتعليم، حتى وصل-خير الدين- إلى منزلة رفيعة عند تلميذه السلطان سليمان القانوني (المتوفى سنة ٩٧٤هـ) .

ومن الملحوظ وجود شح في المصادر العربية التي عرفت بعلماء القسطنطينية خلال عصر الخطيب المقرئ عمومًا، وله بشكل خاص-ومن هنا تبرز أهمية مثل هذه الدراسة-، فقد جاء التعريف به مختصرًا في كتب التراجم وأشار إلى ذلك كل من حقق مؤلفاته[٤]، ولذلك فإن أفضل ما تُؤخَذُ ترجمته منه ما يوجد على مخطوطات مؤلفاته، والتي اعتمدت عليها كثيرًا في التعريف به، فقد كُتِبَ على غلاف مخطوطة كتابه عمدة العرفان في وصف حروف القرآن: "من نظم الشيخ الإمام والأستاذ الهمام قدوة القراء المتأخرين، أسوة الرواة والمجودين مولانا: حمدُ الله بن خيرُ الدِّين[٥]، الخَطِيب بالجمعة الغراء -المشهورة- المعروفة بآيا صوفيا أسعده الله تعالى وأسعد به المسلمين"[٦].

---

(١)كما سيأتي بيانه في المبحث الثالث .

(٢) وهي مدينة تقع في وسط أقصى الشمال التركي، ومطلة على البحر الأسود، وإليها ينسب والد الناظم .

ينظر: التعريف بمحافظة قسطموني في الموسوعة الحرة ويكيبيديا: (https://ar.wikipedia.org) وموسوعة معرفة: (www.marefa.org) .

(٣)قال عنه طاشكبري زاده: "العالم العامل الفاضل الكامل المولى: خير الدين، كان من ولاية قسطموني وقرأ على علماء عصره ... ثم صار معلمًا لسلطاننا الأعظم، ووقع عنده محل القبول وحصل له حشمة وافرة، وجاه رفيع بحيث ازدحم العلماء والفضلاء والأكابر والأعيان على بابه، ومع ذلك لم يتبدل ما في طبعه من التواضع والكرم ولين الجانب والتلطف بالفقراء والمساكين، وربى كثيرًا من الطلبة حتى نالوا المراتب العلية، مات-رحمه الله تعالى- وهو على أتم العز وعظيم الجاه في سنة خمسين وتسعمائة، ودفن بجوار أبي أيوب الأنصاري روح الله روحه ونور ضريحه" .

الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، طاشْكُبْري زَادَهْ، أبو الخير أحمد بن مصطفى بن خليل(٩٦٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٥ه-١٩٧٥م، (ص٢٦٤) .

(٤) أشار إلى شح التعريف به جميع الطالبات اللاتي حققن كتابه: (فيوض الإتقان في وجوه الفرقان) على ما سيأتي بيانه في المبحث الثاني.

(٥)جاء اسمه واسم والده مرفوعين بالضم هناوفي جميع مواضع التعليقات على مؤلفاته المخطوطة، ولعل رفع الاسمين يُخرَّج بأنه على الحكاية .

(٦) كُتِبَت هذه العبارة في صفحة غلاف ثلاث من المخطوطات الخمس التي وقفت عليها، وهي مخطوطة أيآصوفيا ونسخة جامعة ليدن بهولندا، ونسخة مكتبة لآله لي التي سيأتي الإشارة إلى مكان حفظها في المبحث الثاني .

يتضح مما سبق ذكره وَهْمُ من سماه: خير الله[١]، فهو: حمد الله–القسطموني–القسطنطيني الرُّومِي المدرس الْحَنَفِيّ؛ وشيخ القراء؛ الخطيب الناظم[٢]، ومن أطلق عليه حمدي فقد أشكل عليه ختمه به على مقدمة بعض نسخ مخطوطات من كتابه: (فيوض الإتقان في وجوه الفرقان في القراءات العشر)[٣]، وكتابه: (مولد النبي–ﷺ–)[٤]، وهذا ليس اسمًا له بل هو ما يُعرَفُ عند رجال العلم والدولة في العهد العثماني بـــ: (مَخلَص) وهو التوقيع[٥]؛ إذ كان من عادتهم أن يختاروا لأنفسهم أسماء يكتبونها تحت عباراتهم، وتكون اختصارًا لأسمائهم[٦].

واشتهر بلقب: (الخطيب)؛إذ كان يخطب في مسجد آياصوفيا –بإستطنبول الذي يعد أبرز جامع في الدولة–، وقد أطلق على نفسه هذا اللقب في إحدى قصائده التي أهداها للسلطان سليمان القانوني وقدم لها بمقدمة مدحه فيها حتى قال:

تَطَوّل على هذا الخطيـــب بِـــشَفْقَةٍ بها يَحْصُلُ المقصودُ بالفوزِ والقـــدرِ

كما يتأكد هذا اللقب له من خلال ما كُتِبَ في بداية كتبه المخطوطة[٧]، فقد جاء على غلاف مخطوط قصيدته رسوخ اللسان: "هذا كتاب وسيلة الإتقان في شرح رسوخ اللسان في حروف القرآن، للشيخ الإمام والمقرئ الهمام حمد الله الفقير ابن خير الـــدّين

(١) كما جاء في **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني (١٠٦٧هـــ)، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٤١م، ١١٦٨/٢، **وتاريخ** الأدب العربي، ألفه بالألمانية المستشرق: كارل بروكلمان(١٣٧٥ه/١٩٥٦م)، ترجمه إلى العربية: أ.د/ محمود فهمي حجازي و د/عمر صابر عبدالجليل، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم–الهيئة المصرية العامة للكتاب–، القاهرة، ١٩٩٥م، ٣٥٨/٩.

(٢)ومنهم من جمع مع اسمه وصفه بـــ: (خير الله)، ينظر: **معجم تاريخ التراث الإسلامي**، قره بلوط، علي الرضا وأحمد طوران، دار العقبة، قيصري–تركيا، ١٤٢٢ه/٢٠٠١م، ١٠٣٥/٢، **هدية العارفين** أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل ابن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (١٣٩٩هـــ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٣ه/١٩٩٢م، ٣٣٤/١.

(٣) جاء هذا التوقيع على مخطوطة نسخة جامعة إستنابول ٣/أ، ونسخة دار الكتب القطرية ٢/أ .

(٤)جاء هذا التوقيع على مخطوطة مكتبة الفاتح السليمانية برقم(٤٥١٠) .

(٥)لعل وضع هذا التوقيع أو الختم على بعض النسخ فيه إشارة إلى أنها مكتوبة بخط مؤلفها .

(٦)ينظر: تفسير الشيخ نور الدين سنجار لمعنى (مَخلَص) في الموسوعة الإسلامية، باللغة التركية vr.١٦b ، **وتحقيق يسرا محمد الشاهد لكتاب فيوض الإتقان في وجوه الفرقان** لحمدالله بن خير الدين (ص٢٦).

(٧) على ما سبق ذكره أنه مكتوب في صفحة غلاف قصيدته عمدة العرفان: "...الخطيب بالجمعة الغراء المشهورة، المعروفة بآيا صوفيا...".

الفقير، الخطيب بجامع أيا صُوفيا الكبير عفا عنهما من هو بالعفو جدير"[1]، وما أجمعت على وصفه به مصادر ترجمته[2].

المبحث الثاني: حياته العلمية والعملية

مكانة الخطيب المقرئ حمد الله بن خير الدِّين وجهوده ظاهرة في خدمة العلم عمومًا وكتاب الله خصوصًا، ويظهر ذلك جليًّا من خلال تعيين السلطان -سليمان القانوني (ت٩٧٤هـ)- له خطيبًا لأهم مساجد الدولة، واستمراره أربعين سنة واعظًا ومدرسًا، وهو الذي عاش في المدة الذهبية للدولة العثمانية، وكان جلُّ اهتمامه بكتاب الله، والتعليم فيه، حتى استحق في آخر سنتين من حياته أن يعينه السلطان: أول "شيخ للقراء" بأدرنة[3]عام (٩٨١هـ)[4]، ويظهر تخصصه في القرآن وعلومه من خلال مؤلفاته؛إذ نسبت له المصادر التي عرفت به ست مصنفات، جميعها في خدمة القرآن وعلومه سوى كتاب بعنوان: (مولد النبي-ﷺ-) ألفه نظمًا باللغة العثمانية، يحتوي على الأقسام التالية: التوحيد بعد الديباجة، خلق العالم، خلق آدم، ولادة النبي-ﷺ-، معجزاته، المعراج، مناجاة، الوفاة، خاتمة[5].

---

(١)في نسخة مكتبة لالا إسماعيل بتركيا رقم (٧) .

(٢) ينظر لمزيد تعريف به: **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، حاجي خليفة، ١١٦٨/٢، **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون**، الباباني، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم البغدادي (١٣٣٩هـ)، عُني بتصحيحه وطبعه على نسخة المؤلف: محمد شرف الدين بالتقايا رئيس أمور الدين، والمعلم رفعت بيلكه الكليسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢١٧/٤ و٧٠٥/٤، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا البغدادي ٣٣٤/١، **تاريخ الأدب العربي**، لبروكلمان ٣٥٨/٩، **معجم المؤلفين**، كحالة، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني الدمشق (١٤٠٨هـ)، مكتبة المثنى - ودار إحياء التراث العربي، بيروت، ٧٥/٤، **معجم تاريخ التراث الإسلامي**، قره بلوط،١٠٣٥/٢، تحقيق زبدة العرفان في وجوه القرآن، البالوي، حامد بن عبدالفتاح(كان حيًا عام: ١١٧٣)، تحقيق: مصطفى آتيلا آفندميز-رسالة دكتوراه، إشراف: الأستاذ المساعد أمين إبشيق، كلية الدراسات الإسلامية، جامعة مرمرة، إستامبول، ١٩٩٩م، (ص٤٠٨) .

(٣) كان اسمها قبل حكم العثمانيين أدريانوبل، أي مدينة (أدريان) وهو الإمبراطور البيزنطي الذي أقام فيها عدة تحصينات، وكانت عاصمة الدولة العثمانية بعد مدينة (بورسه) وقبل فتح القسطنطينية، وتقع في أقصى الجهة الشمالية الغربية من الجزء الأوروبي للجمهورية التركية، بالقرب من حدود بلغاريا واليونان، ويمر بها نهر ماريتزا في إقليم تراقيا.

ينظر: التعريف به في **الموسوعة الحرة** ويكيبيديا: (https://ar.wikipedia.org)، تعريف بالأماكن الواردة في كتاب البداية والنهاية ٨٤/١ .

(٤) **المؤلفون العثمانيون** لمحمد طاهر بروسلي (ص٢٧٤)، وتحقيق مريم بنت حمدي محمد نوفل لكتاب فيوض الإتقان في وجوه الفرقان لحمد الله بن خير الدين، (ص٤٠) .

(٥)ومازال مخطوطة باللغة العثمانية، وعدد أوراقها ٢٥٠ب، وموجودة في مكتبة الفاتح السليمانية برقم(٤٥١٠) . ينظر: **معجم تاريخ التراث الإسلامي**، قره بلوط،١٠٣٥/٢.

ولم يطبع من مؤلفاته إلا آخرها تأليفًا فقط، والذي كان بعنوان: (فيوض الإتقان في وجوه الفرقان في القراءات العشر)[1]، حققه مجموعة من طالبات الماجستير في القراءات بجامعة أم القرى، وقد خرج في تسع رسائل علمية عام ١٤٣٤هـ تقريبًا، ويتميز بجمعه وجوه القراءات العشر، وعلم الرسم وأيضًا علم عدّ الآي، وصرح في مقدمته حين بيانه لسبب تأليفه بذكر كتب أخرى غير ما نسبته له المصادر التي ترجمت له فقال: "فإني لما فرغت من نظم القصائد في فن التجويد بالفوائد والعوائد، منها الرائية المسماة بـ: (عمدة العرفان في وصف حروف القرآن)، واللامية المسماة بـ: (تبيان الألفاظ لأعيان الحفاظ)، واللامية المسماة بـ: (نظم الجمان في تجويد القرآن)، واللامية المسماة بـ: (رسوخ اللسان في حروف القرآن)، ومنها اللامية المسماة بـ: (تصريح الرموز في القراء العشرة) وشرحها المسمى بـ: (تسريح البروز)، أردت أن أحرر كتابًا مجدولاً في القراءة المتكاثرة للأئمة العشرة الذين قراءاتهم متواترة، وأبين فيه ما يحتاج إليه المعلمون من معرفة الوجوه المشهورة بين أئمة الأمصار المعمورة أداءً وتلاوةً، ورسمًا وكتابة، ووصلاً ووقفًا، وخطًا ونقلاً....."[2] .

كان الخطيب المقرئ بارزًا في النظم محبًا له، فجميع مؤلفاته–سوى فيوض الإتقان– إما كتبها نظمًا أو شرح فيها نظمًا له، وكان متقننًا للغة العربية بالإضافة للتركية، وقد وقفت على مخطوطات لأربع منها، كتب النظم بالعربية وشرحه بالتركية، أذكر وصفًا مختصرًا لها:

الأولى: (عُمْدَةِ العِرْفَانِ في وَصْفِ حُرُوفِ القُرْآنِ)[3].

وهي قصيدة مكونة من (٢٦٠ بيتًا) مشتملة على تسعة وستين (٦٩) موضوعًا في التجويد، بين فيها مخارج حروف القرآن وصفاته، وأجمعت المصادر على هذه التسمية مع نسبتها إلى الخطيب المقرئ حمد الله بن خير الدِّين، كما جاء ذلك

(١) سماه الباباني في **إيضاح المكنون** في الذيل على كشف الظنون،٢١٧/٤ :"فيوض الإتقان في وجوه القرآن" .

(٢) ينظر (ص٥٢) من كتابه: **(فيوض الإتقان في وجوه الفرقان في القراءات العشر)**، تحقيق فاطمة بنت عبدالله بن فارح، من أول الكتاب إلى نهاية آل عمران، سلسلة رسائل ماجستير في كلية الدعوة وأصول الدين قسم القراءات، بجامعة أم القرى عام ١٤٣٤هـ .

(٣) ويجدر التفريق بينها وبين مؤلف الشيخ مصطفى بن عبد الرحمن بن محمد الإزميري العثماني المقري الحنفي، نزيل مصر المتوفى بها سنة (١١٥٥هـ)، والذي طبع بشرحه كما جاء في مقدمة كتابه بدائع البرهان شرح عمدة العرفان في وجوه القرآن، حيث قال: "وقد جمعت أولا: كتابي المسمى ب(عمدة العرفان في وجوه القرآن)، لكنه في غاية الإيجاز، ولذلك سألني بعض الإخوان، أن أجمع لهم كتابا يشتمل عليه وعلى غيره، ... فابتدأت بتأليف هذا الكتاب، وسميته : (بدائع البرهان على عمدة العرفان)" .
ينظر: **معجم المؤلفين**، كحالة،٣٦٠/١٢، **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون**، الباباني،١٧٠/٣.

مثبتًا على غلاف نسخ المخطوطات، إضافة إلى أنه نص على هذه التسمية في مقدمتها، والتي أوضح فيها بعد ذلك سبب تأليفها فقال: "فإني لمَّا رأيتُ كثيرًا من حُفّاظ هذا الزمان، يقرؤون القرآن العظيم-جل مُنْزِلُهُ- بالترجيع والترقيص والألحان، ويتلونه بالتَّرعيد والتطريب والأحزان، ويتصنعون في التلفُّظِ والأداء، ويَنُوحُونَ بالنغمة والغِناء، ويرفعون أصواتهم في التلاوة، **ويضيعون ألفاظهم من الرِّعاية، ولا يميزون بعض الصفات من بعضها، ولا يُراعونَ حقوقَ الحُرُوفِ ومُسْتَحقَّهَا**[(١)]..." حتى قال في بيان موضوعها:"فتَصَوَّرتُ في نفسي أن أنظم هذه القصيدة...**وأُبين فيها مخارج حروف القرآن وصفاتها، وأُعَيِّنَ لِكُلِ حَرْفٍ أيةَ صِفَةٍ منها**، وأُدْرِجَ مالا بُدَّ مِنَ الضَّابِطَةِ فيها، وأُضمِّن سائر قواعد التجويد إيّاها"، وقد أهداها للسلطان سليمان القانوني في عام (٩٤٨هـ)، وحصلت على خمس نسخ لها[(٢)]، وهي: (نسخة مكتبة آيا صوفيا[(٣)]، ومكتبة لآله لي[(٤)]، وجامعة ليدن بهولندا[(٥)]، ومكتبة أنقرة[(٦)]، والمتحف البريطاني[(٧)]) .

الثانية: (جواهر العقيان في شرح عمدة العرفان).

وهي شرحٌ للقصيدة السابقة، كُتِبَت فيه أبيات القصيدة باللغة العربية ولون أحمر، للتمييز بينها وبين الشرح الذي جاء باللغة العثمانية وبحروف عربية، كما هي العادة في كتابة اللغة التركية وقتئذٍ، انتهى من تأليفه في أواخر المحرم كما سجل في نهاية الشرح سنة (٩٥٦هـ)، وقد حصلت على أربع نسخ له، وهي: (نسخة المكتبة السليمانية

(١)حق الحرف: كل صفة ثابتة له من جهر واستعلاء وإطباق، ومستحق الحرف: الصفات العرضية له من إظهار وإخفاء وإدغام كالنون الساكنة حسب أحكامها"، ينظر: **القول السديد في علم التجويد**، على الله بن علي أبو الوفا، الناشر: دار الوفاء، المنصورة، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

(٢) ينظر: خزانة التراث بمركز الملك فيصل: (٢٧٢/٤٩/ رقم تسلسلي ٤٨٢٧٣)، الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط ، الصادر من مؤسسة آل البيت، (قسم مخطوطات التجويد) ٣٢٦/٣-٣٢٧.

(٣)والمحفوظة برقم:(٧٩٦/١).

(٤)والمحفوظة برقم: (٦١/٤٣).

(٥)والمحفوظة برقم: (١٦٤٦).

(٦)والمحفوظة في: ملّي كتبخانه برقم: (A/٢٥٠٣/٢) .

(٧)والمحفوظة برقم: (١٢٧٦٠OR)، سجل على بطاقتها اسم القصيدة باللغة الإنجليزية، وحجمها:(١٤*٢٢CM).

بإسطنبول[١]، والمكتبة الدولية بأنقرة[٢]، ومكتبة بيازيت الدولية[٣]، ومكتبة جامعة الملك سعود[٤] .

الثالثة: (رسوخ اللسان في حروف القرآن) .

قصيدة نظمها باللغة العربية مكونة من (١٤٣) بيتًا في علم التجويد،بين في مقدمتها سبب تأليفها فقال: "نظمت هذه الرسالة بالتماس بعض الإخوان من أهل القرآن، **إخراج الألفاظ الصعاب من كلام الرحمن**، فرتبته على أسلوبٍ عجيب لم يسبق، وتمهيد غريب لم يغلق، ليصير لسان حافظِه راسخًا في تلفظ حروف القرآن، وراعيًا في تحفظ مراتب وقوف الفرقان"، حتى قال في بيان هدفه من تأليفه: "فمن رام وعي هذه القصيدة وأيقنها، ونهض في حفظ ما فيها وأذعنها، قامت له على تقادم الدهور والأحيان، وتعاقب العصور والأزمان، **مقام الأستاذ المقرئ النحرير، والشيخ الماهر الحاذق الخبير**" .

وقد كتبه بعد عمدة العرفان، وأهداه–أيضًا– للسلطان سليمان القانوني في سنة (٩٥٩هـ)، ولها نسخ[٥]في:(المكتبة الدولية في أنقرة، ومكتبة بيازيت الدولية[٦]، ومكتبة جامعة قاريونس في بنغازي[٧]، ومكتبة جامعة إسطنبول[٨]).

الرابعة: (وسيلة الإتقان في شرح رسوخ اللسان) .

وهو شرحٌ للقصيدة السابقة، كُتِبَت فيه أبيات القصيدة باللغة العربية وفوقها خط أحمر، للتمييز بينها وبين الشرح الذي جاء باللغة العثمانية وبحروف عربية كمثل الشرح

(١) ومحفوظ فيها بعدة نسخ منها نسخة في قسم الحميدية برقم: (١٧)، ونسخة في قسم أسعد أفندي برقم (٢–١٦) يبدأ الشرح من ورقة رقم (١١) .

(٢) والمحفوظ برقم: (١٨٧) .

(٣) والمحفوظ برقم: (.٣٠٦٩Ot) .

(٤) ومحفوظ فيها بعدة نسخ منها نسخة برقم: (٦١٨٢)، مكونة من ١٣٩ ورقة، ونسخة برقم (٥٨٧) .

(٥)ينظر:**الفهرس الشامل** للتراث العربي الإسلامي،قسم مخطوطات القراءات(ص١٢٥)، مركز الملك فيصل للبحوث برقم الحفظ (١–٢٧٦٤–ف)، وأشار لها محقق زبدة العرفان في وجوه القرآن، البالوي، (ص٤٠٩).

(٦)والمحفوظة برقم: (.a٦٠,vr.٣–٨٢٠٣nr).

(٧) والمحفوظة برقم: (١٥١٢).

(٨) والمحفوظة في: قسم صالح خاتون برقم(١)،وقسم حاجي محمود أفندي برقم (٢٢٩) .

السابق، انتهى من تأليفه في حدود[١]سنة (٩٦٠هـ)، محفوظ في عدة مكتبات[٢]، منها: (مكتبة لا لا إسماعيل[٣]، مكتبة لاله لي[٤]، المكتبة السليمانية[٥] في إسطنبول، مكتبة ليدن بهولندا[٦]، معهد الدراسات الشرقية بروسيا[٧]، مكتبة عارف حكمت[٨]).

وقد أشار في نظمه لقصائده إلى تاريخ تأليفها بأسلوب بديع، فقال في قصيدة عمدة العرفان، تحت عنوان: (تاريخ الكتاب):

نجوم القوافي قُل لتاريخ ختمها ذَكَا وَجْهُهَا بَدْرًا فخذها بلا نكر

ومكتوب تحت الثلاث كلمات: (ذَكَا وَجْهُهَا بَدْرًا)[٩]كلمة (سنة) باللون الأحمر وتحتها أرقام السنة (٩٤٨هـ) في جميع النسخ سِوَى نسخة أنقرة، وكُتِبت في نسخة المتحف البريطاني كلمة (سنة) طويلة وشملت أغلب كلمات الشطر، وكانت بلون أسود كما هو حال جميع المخطوط .

وقال في قصيدة رسوخ اللسان، تحت عنوان: (تاريخ النظم) :

وأعلام تاريخٍ (اَحَبُّ مُحَذِّرٍ) كذا (لَاحَ ذِكْرٌ) قُلْ (اَجَدَّ لِيَفْضُلَا)

وقد كُتبت الكلمات التي وضعتها بين قوسين بلون مختلف، ومكتوب تحتها (٩٥٩) مكرر عند الثلاثة مواضع .

---

(١)ذكر الباباني في **إيضاح المكنون** في الذيل على كشف الظنون، ٧٠٥/٤، أنه انتهى منه سنة ٩٥٦هـ، ولعله وهم بين هذا الشرح وبين جواهر العقيان شرح عمدة العرفان، حيث أنه لم ينتهي من تأليف قصيدة رسوخ البيان إلا في ٩٥٩، وهذا ما نص عليه مؤلفها في أبياتها كما سيأتي .

(٢)ينظر: **معجم المؤلفين** ٧٥/٤، **معجم تاريخ التراث الإسلامي**، قره بلوط،١٠٣٥/٢، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية (٠٠٩٠-فح) .

(٣) بتركيا والمحفوظة برقم: (٧) ومكونة من ٣٨ صفحة .

(٤) بتركيا والمحفوظة برقم: (٦٨).

(٥) والمحفوظة في: قسم شهيد علي باشا برقم(٣٤) وكتبت الأبيات فيها باللون الأحمر والشرح بالأسود .

(٦)والمحفوظة برقم: (١٦٤٧).

(٧) والمحفوظة في مدينة:سان بطرسبورج برقم (٩٣٣).

(٨)بالمملكة العربية السعودية والمحفوظة في المدينة المنورة برقم (٥)، وقد تكون مصورة من النسخة السابقة المحفوظة بروسيا .

(٩) كُتِبَتْ هذه الكلمات الثلاث بلون أحمر، بخلاف باقي كلمات البيت التي كتبت بمداد أسود، وذلك في ثلاث نسخ هي: نسخة جامعة ليدن بهولندا، ونسخة مكتبة لآله لي، ونسخة مكتبة أنقرة.

وهذه الطريقة هي ما يُعرف بحساب الجمَّل[1]، بحيث يقابل كل حرف قيمة رقمية، فكانوا من تشكيلة هذه الحروف ومجموعها يصلون إلى ما تعنيه من تاريخٍ مقصود، وشملت خانات الأعداد بداية من الآحاد ثم العشرات حتى وصلوا عند خانة الألف للحرف الأخير، ثم جمعوا بعض الحروف إلى بعض لتكوين بقية الأرقام، وذلك وفق الجدول التالي:

طريقة حساب الجمّل							
أ	١	ي	١٠	ق	١٠٠	غ	١٠٠٠
ب	٢	ك	٢٠	ر	٢٠٠	بغ	٢٠٠٠
جـ	٣	ل	٣٠	ش	٣٠٠	جغ	٣٠٠٠
د	٤	م	٤٠	ت	٤٠٠	دغ	٤٠٠٠
هـ	٥	ن	٥٠	ث	٥٠٠	هغ	٥٠٠٠
و	٦	س	٦٠	خ	٦٠٠	وغ	٦٠٠٠
ز	٧	ع	٧٠	ذ	٧٠٠	زغ	٧٠٠٠
ح	٨	ف	٨٠	ض	٨٠٠	حغ	٨٠٠٠
ط	٩	ص	٩٠	ظ	٩٠٠	طغ	٩٠٠٠

وبإعطاء الحروف التي وضعها المؤلف قيمة رقمية، نصل إلى تاريخ تأليفها كما يلي:

(١) استخدم العرب منذ الجاهلية إلى صدر العصر العباسي طريقتين للعدّ الحسابي، فكانوا إذا أرادوا أن يسجلوا عددًا في البيع والشراء مثل: (٩٥٠ دينارًا) دوّنوه كتابة بالحروف هكذا: تسعمائة وخمسون دينارًا، أو سجّلوه بحساب الجمّل هكذا: ظن؛ لأن قيمة الظاء (٩٠٠) وقيمة النون (٥٠). ثمّ انتشر استخدام هذه الطريقة في العصور المتأخرة، خاصة في العصر المملوكي في ما عرف بالتاريخ الشعري الذي ظل معروفًا مستخدمًا إلى زمان قريب. والتاريخ الشعري يقوم على إيراد الحدث المؤرخ له ضمن بيت من الشعر أو قِسْم منه، ويكون غالبًا بعد كلمة أرّخ أو أحد مشتقاتها، وتتميز هذه الطريقة بالاختصار وجمع الأعداد الكثيرة في كلمة واحدة أو كلمات، وهذا ما جعل حساب الجمّل سهل الاستخدام في نَظْم العلوم والمعارف وتاريخ الأحداث. كما يمكن أن يكون نوعًا من التّعْمية أو التّشْفير بتحليل الأعداد المعطاة إلى مجموعة حروف مكونة بذلك لُغْزًا أو شفرة.

للمزيد حول حساب الجمّل ينظر: موسوعة ويكيبيديا (www.ar.wikipedia.org)، وموسوعة معرفة (www.marefa.org) .

أولاً: تاريخ تأليف قصيدة عمدة العرفان:

ذ	ك	ا	و	ج	هـ	هـ	ا	ب	د	ر	ا	المجموع
٧٠٠	٢٠	١	٦	٣	٥	٥	١	٢	٤	٢٠٠	١	٩٤٨هـ

ثانيًا: تاريخ تأليف رسوخ اللسان :

الموضع الأول:

ا	ح	ب	م	ح	ذ	ر	المجموع
١	٨	٢	٤٠	٨	٧٠٠	٢٠٠	٩٥٩هـ

الموضع الثاني:

ل	ا	ح	ذ	ك	ر	المجموع
٣٠	١	٨	٧٠٠	٢٠	٢٠٠	٩٥٩هـ

الموضع الثالث:

ا	ج	د	ل	ي	ف	ض	ل	ا	المجموع
١	٣	٤	٣٠	١٠	٨٠	٨٠٠	٣٠	١	٩٥٩هـ

وفي ختام هذا المبحث أضع ملخصًا لما ذكرته حول مؤلفاته مرتبًا لها حسب تاريخ تأليفها المدون على المخطوطات، فإن لم يتبين لي التاريخ اعتمدت على ترتيب مصنفها لها، كما في الجدول التالي:

م	عنوان المؤلَف	موضوعه	نوعه	لغته	حالته
١	مولد النبي -ﷺ-	السيرة	نظم	العثمانية	مخطوط
٢	عمدة العرفان في وصف حروف القرآن	التجويد	نظم	العربية	مخطوط
٣	جواهر العقيان في شرح عمدة العرفان	التجويد	شرح	العثمانية	مخطوط
٤	تبيان الألفاظ لأعيان الحفاظ	التجويد	نظم		مفقود
٥	نظم الجمان في تجويد القرآن	التجويد	نظم		مفقود
٦	رسوخ اللسان في حروف القرآن	التجويد	نظم	العربية	مخطوط
٧	وسيلة الإتقان في شرح رسوخ اللسان	التجويد	شرح	العثمانية	مخطوط
٨	تصريح الرموز في القراء العشرة	التجويد	نظم		مفقود
٩	تسريح البروز	التجويد	شرح		مفقود

١٠	فيوض الإتقان في وجوه الفرقان في القراءات العشر	القراءات – الرسم	نثر	العربية	مطبوع	

المبحث الثالث: وفاته

من خلال ما سبق ذكره في التواريخ المثبتة على مؤلفاته وتواريخ تأليفه لها، يظهر وَهْمُ مَن عَرَّف به وذَكَر أنه توفي بعد عام (٩٤٨هـ)[١]، أوفي عام (٩٦٠هـ)[٢]، فكيف يكون ذلك؟! خاصة وأنه قد كتب على نسخة من كتابه (فيوض الإتقان): فرغ منها المؤلف عام (١٥٥٥م) والذي يوافق عام (٩٦٣هـ)، ولعل هذا هو الذي جعل إسماعيل البغدادي يقول في تعريفه للخطيب المقرئ: "المتوفى في حدود سنة ثلاث وستين وتسعمائة(٩٦٣هـ)"[٣]، ومما يستشهد به على خطأ التواريخ السابقة، ما أثبته من حقق مخطوط: "الدر النضيد في المسائل المتعلقة بالتجويد" للقاضي شهاب الدين أحمد جلبي بن عبد اللطيف البورلوي الحميدي، من أنهم وجدوا على إحدى المخطوطات: "أنه فرغ من تأليفه في اليوم الثالث من جمادى الآخر سنة (٩٦٩ هـ)"، وعلى النسخة تقاريظ لثلاثة من علماء عصره، منهم: الخطيب المقرئ حمد الله بن خير الدين، وهذا يدل على أنه كان حيًّا تلك المدة .

ولعل من فوائد الاطلاع على مخطوطات مؤلفاته ما حصل بها من وصول إلى تاريخ وفاته، على ما سبق ذكره من أنه كان شيخاً للقراء بأدرنه عام (٩٨١هـ)[٤]، واستمراره بالوظيفة لمدة عامين، فتكون وفاته–والله أعلم– عام (٩٨٣هـ) وهو في السبعين من عمره[٥].

---

(١) كما في **معجم تاريخ التراث الإسلامي**،١٠٣٥/٢، حيث قال قره بلوط عنه:"المتوفي بعد سنة ١٥٤١/٩٤٨"، وكذلك قال كحالة: "(حوالى ٩٤٨ هـ) (١٥٤١ م)" في معجم المؤلفين،٧٥/٤، وهذا تاريخ كتابته لقصيدة عمدة العرفان، كما دون على آخر أبياتها، فلعله توهم أنه تاريخ وفاته بسبب هذا التاريخ، أو يكون تصحيفًا لقلب آخر رقمين، فتكون وفاته ٩٨٤هـ.

(٢) وهو ما أثبته محقق زبدة العرفان في وجوه القرآن، في رسالة مرحلة الدكتوراه، (ص٤٠٨).

(٣)**هدية العارفين** أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا البغدادي ٣٣٤/١.

(٤) كما جاء مكتوبًا على مخطوطة كتابه (رسوخ اللسان) المحفوظة في مكتبة بيازيت الدولية المحفوظة برقم: (.nr٨٢٠٣–a٦٠,vr.٣)، وينظر: الموسوعة الإسلامية، تصدر عن رئاسة الشؤون الدينية في تركيا، إسطنبول، ١٩٩٧م، ٤٥١/١٦.

(٥) ينظر: **المؤلفون العثمانيون** (ص٤٥١)، وتحقيق مريم بنت حمدي محمد نوفل لكتاب فيوض الإتقان في وجوه الفرقان لحمد الله بن خير الدين، (ص٤٠) .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين الذي يسر عرض "جهود الخطيب المقرئ: حمد الله بن خير الدِّين (ت٩٨٣هـ) في خدمة القرآن وعلومه"، والوصول إلى الصحيح من اسمه وتاريخ وفاته، بعد استعراض ميسر للأقوال المختلفة حول ذلك، والإشارة إلى مؤلفاته ومكان حفظ المخطوط منها، ثم الصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وفي ختام هذا البحث ألخص أبرز ما ورد فيه من نتائج:

١- اُختلف في اسمه، والصحيح أنه: حمد الله بن خير الدين، وأصول أسرته من بلدة قسطمون، وكان حَنَفِيّ المذهب .

٢- عاش زهرة حياته في عهد السلطان العاشر من سلاطين الدولة العثمانية سليمان القانوني التي كانت ما بين (٩٢٦-٩٧٤هـ)، وبلغت الدولة العثمانية في عهده أقصى اتساع لها فأصبحت أقوى دولة في العالم في ذلك الوقت، وكانت له علاقة قوية بالسلطان حتى إنه أهدى له بعض قصائده التي نظمها .

٣- عاصر عددًا من العلماء البارزين في القرآن وعلومه وغيره من العلوم، واشتهر بلقب: (الخطيب)، إذ كان يخطب في أهم جوامع الدولة في ذلك العصر، مسجد آياصوفيا بإسطنبول بالإضافة إلى إقرائه فيه وتدريسه مدة تزيد على الأربعين عامًا.

٤- ظهرت جليًا المكانة العلمية للخطيب المقرئ من خلال عدة أمور، منها: أن السلطان اختصه ليكون معلمًا لبعض أبنائه، وعينه آخر سنتين من حياته أول شيخ للقراء، حتى توفي-على الصحيح من الأقوال- عام (٩٨٣هـ)، وهو في السبعين من عمره.

٥- كان الخطيب المقرئ بارزًا في النظم محبًا له، وظهر اهتمامه الواضح بكتاب الله وكيفية أدائه بطريقة صحيحة، حيث ألف عشرة كتب في ذلك، نصفها كانت نظمًا بالعربية، وقد شرح ما نظمه بنفسه باللغة العثمانية .

٦- لم يطبع من مؤلفاته سوى آخرها تأليفًا والذي كان في القراءات وسماه: (فيوض الإتقان)، وقد حققه تسع طالبات في مرحلة الماجستير بجامعة أم القرى عام ١٤٣٤هـ .

٧- كان من أهداف هذا البحث–التي تحققت ولله الحمد– جمع مخطوطات مؤلفاته الموجودة والإشارة إلى مكان حفظها، مع وصف موجز لها، وقد اعتمدت عليها في التعريف بمؤلفها .

٨- أبدع الخطيب المقرئ وتميز في قصائده التي نظمها بذكر تاريخ تأليفها بطريقة الجمَّل، وكان من عادته أن يسبق قصائده بمقدمة يذكر فيها سبب تأليفها وموضوعها ولمن أهداها، كما نص على أسماء قصائده، مما يقصر العناء على من يرغب في تحقيقها، يضاف إلى ذلك وفرة نسخها المخطوطة والاهتمام الواضح بها وبحسن خطها، وأنه شرحها بنفسه .

أختم هذه الخاتمة بذكر التوصيات:

١- أوصي بتحقيق القصائد التي نظمها الخطيب المقرئ في خدمة القرآن وعلومه.

٢- المساهمة في تحقيق وترجمة شرح هذه القصائد من اللغة العثمانية إلى العربية، ولا سيما المتخصصين في القرآن وعلومه .

٣- أقترح إنشاء مركز للترجمة من اللغة العثمانية التي كتبت بها كثير من المخطوطات العلمية المفيدة تلك المدة التي عاش فيها الخطيب المقرئ -رحمه الله تعالى- .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين .

المراجع والمصادر:

- **أنيس المسافر في تاريخ أدرنة**، عبدالرحمن خبري .
- **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون**، الباباني، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم البغدادي (١٣٣٩هـ)، عنى بتصحيحه وطبعه على نسخة المؤلف: محمد شرف الدين بالتقايا، والمعلم رفعت بيلكه الكليسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت .
- **تاريخ الأدب العربي**، ألفه بالألمانية المستشرق: كارل بروكلمان(١٣٧٥ه/١٩٥٦م)، ترجمه إلى العربية: أ.د/ محمود فهمي حجازي و د/عمر صابر عبدالجليل، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم-الهيئة المصرية العامة للكتاب-، القاهرة، ١٩٩٥م.
- **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، محمد فريد بك المحامي (المتوفى: ١٣٣٨هـ)، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس، بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى١٤٠١ه-١٩٨١
- **تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن**، لحضرة كزتلو يوسف بك آصاف، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م .
- **الدولة العثمانية -الثقافة والمجتمع والسلطة-**، لحسن الضيقة دار المنتخب العربي، بيروت، الطبعة الأولى،١٤١٧هـ-١٩٩٧م .
- **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**، لإسماعيل أحمد ياغي، مكتبة العبيكان، السعودية، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م.
- **زبدة العرفان في وجوه القرآن**، البالوي، حامد بن عبدالفتاح(كان حيًا عام: ١١٧٣)، تحقيق: مصطفى آتيلا آفندميز-رسالة دكتوراه، إشراف: الأستاذ المساعد أمين إيشيق، كلية الدراسات الإسلامية، جامعة مرمرة، إسطنبول، ١٩٩٩م .
- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**،ابن العماد العَكري، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي، (المتوفى: ١٠٨٩هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- **الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية**، طاشْكُبْري زَادَهْ، أبو الخير أحمد بن مصطفى بن خليل(٩٦٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٥ه، ١٩٧٥م .
- **صحيح مسلم:المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، مسلم بن الحجاج، أبو الحسن القشيري النيسابوري (٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

- **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن (المتوفى: ٩٠٢هـ)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت .
- **الفهرس الشامل للتراث العربي الشامل المخطوط** (مخطوطات التجويد والقراءات)، الناشر: مؤسسة آل البيت للفكر الإسلامي، عمّان، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ/١٩٩٤
- **فيوض الإتقان في وجوه الفرقان في القراءات العشر**، للخطيب حمد الله بن خير الدين(٩٨٣ه)، تحقيق: مجموعة من باحثات مرحلة الماجستير بقسم القراءات في جامعة أم القرى، ١٤٣٥ه .
- **القول السديد في علم التجويد**، على الله بن علي أبو الوفا، الناشر: دار الوفاء، المنصورة، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني (١٠٦٧هـ)، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٤١م .
- **الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة**، الغزي، نجم الدين محمد(ت: ١٠٦١هـ)، تحقيق:خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت،الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م
- **المؤلفون العثمانيون**، بروسلي، محمد طاهر، مطبعة الأميرة، إسطنبول، ١٣٣٣ه .
- **معجم المطبوعات العربية والمعربة**، سركيس، يوسف بن إليان بن موسى (المتوفى: ١٣٥١هـ)، مطبعة سركيس بمصر ١٣٤٦هـ- ١٩٢٨ م .
- **معجم المؤلفين**، كحالة، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني الدمشق (١٤٠٨هـ)، مكتبة المثنى - ودار إحياء التراث العربي، بيروت .
- **معجم تاريخ التراث الإسلامي**، قره بلوط، علي الرضا و أحمد طوران، دار العقبة، قيصري-تركيا، ١٤٢٢ه، ٢٠٠١م .
- **النور السافر عن أخبار القرن العاشر**، العَيْدَرُوس، محي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله (المتوفى: ١٠٣٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ه .
- **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (١٣٩٩هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٣ه/١٩٩٢م.

مواقع إلكترونية :

- خزانة التراث بمركز الملك فيصل (https://www.kfcris.com)
- الموسوعة الإسلامية، تصدر عن رئاسة الشؤون الدينية في تركيا، إستنبول، ١٩٩٧م
- موسوعة معرفة (www.marefa.org).
- ويكيبيديا: (https://ar.wikipedia.org) .

مخطوطات:

للمؤلف الخطيب المقرئ حمد الله بن خير الدين من نسخ مكتبات متعددة كما ذكر في أثناء البحث، للعناوين التالية:

- مخطوطة قصيدة:(مولد النبي-ﷺ-) .
- مخطوطة قصيدة:(عمدة العرفان في وصف حروف القرآن) .
- مخطوطة شرحه: (جواهر العقيان في شرح عمدة العرفان) .
- مخطوطة قصيدة: (رسوخ اللسان في حروف القرآن) .
- مخطوطة شرحه: (وسيلة الإتقان في شرح رسوخ اللسان) .
- فيوض الإتقان في وجوه الفرقان في القراءات العشر .